سلسلة لباب التزكية (٣)
هدي السلف الصالح في التربية
وسائل عملية

أول التعبد

قال رجل: وما تزكية النفس؟
فقـــال النبي صلى الله عليه وسلم:
"أن يعـــلم أن الله عز وجل
معه حيث كان"، أخرجه البيهقي،

بقلم فضيلة الشيخ
د. طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري
رئيس المجلس العلمي للإفتاء برابطة أهل الحديث باليمن

أول

التعبـــــــد

بقلم فضيلة الشيخ

د . طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

مختصر رسالة (أول التعبد)

قال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال النبي ﷺ: "أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان"، أخرجه البيهقي،

قال الإمام الذهلي: "يريد أن الله علمه محيط بكل مكان، والله على العرش"، ذكره الحافظ الذهبي في كتابه العلو.

مقدمة: التعبد لله: هو فعل الأوامر وترك النواهي؛ محبةً وتعظيمًا لله عز وجل، قال ابن القيم رحمه الله: "وأفضل الذكر وأنفعه: ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر **معانيه ومقاصده**".

الدرس الأول: التعبد لله تعالى قبل الصلوات:

(١) التعبد لله تعالى باستحضار معاني الأذان: ومما يستحضره العبد مع:

اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ: يتذكر أن الله أكبر من كل شيء، وأن رحمة الله هي أكبر ما يرجوه.

اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ: يتذكر أن الله أكبر من كل شيء، وأن وعيد الله هو أكبر ما يخافه.

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: يتذكر أن العبودية هي غاية المحبة، فيُعظِم محبته لربه، بتفكره في جميل صفات الله، وإحسانه.

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: يتعهد نفسه بإلزامها بطاعة الله، وموافقته فيما يحبه ويرضاه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: يتذكر سيرة رسولنا ﷺ، وهديه، ويلتزم أن يكون حبه واتباعه .

أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: يجدد التزامه بملازمة السنة والوقوف معها في الظاهر والباطن، في كل شؤونه وأحواله.

حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ: ينوي أن يؤديها في الصف الأول، مدركًا تكبيرة الإحرام، متمًا شروطها وواجباتها وسننها.

حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ: يعزم على حضور قلبه فيها، مستحضرًا معاني أقوالها، ومقاصد أفعالها.

حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ: يتوجه لله بطلب العون على أسباب النجاة من المرهوب.

حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ: يتوجه إلى الله تعالى بطلب العون على تحقيق مقام الذل في العبادة، وعزيمة الرشد

في الأخذ بالطاعة.

اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ: يُعظِم معها الافتقار إلى الله الكبير العظيم في ذلك كله، فيشهد فاقة تامة في كل ذرة من ذراته.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: يجدد معها التزامه بإسلام الوجه والوجهة إلى الله تعالى، وإحسان العمل في مرضاته.

ثم يبادر للوضوء.

(٢) التعبد لله تعالى باستحضار معاني الوضوء: ومما يستحضره العبد مع:

مع غسل الكفين: ينوي التعبد لله باستعمال الماء غسلاً ومسحًا في أعضاء مخصوصة؛ لأداء الصلاة لوجه الكريم.

مع المضمضة والاستنشاق: ويستحضر استغفار الله عن كل خطيئة قالها بلسانه، أو لقمة حرام أدخلها في جوفه.

مع غسل الوجه: ويستحضر استغفار الله عن كل خطيئة نظر إليها ببصره.

مع غسل اليدين: ويستحضر استغفار الله عن كل خطيئة فعلها أو كتبها بيده.

مع مسح الرأس والأذنين: ويستحضر استغفار الله عن كل خطيئة سمعها بأذنه.

مع غسل الرجلين: ويستحضر استغفار الله عن كل خطيئة مشاها برجله.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ اللَّهُمَّ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ: ويستحضر التطهر من سائر الذنوب؛ خاصةً ذنوب القلب.

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ: ويستحضر فتح أبواب الجنة والطاعات الموصلة لها، فيجدد إخلاص النية لله عز وجل، والتجرد لمتابعة رسول الله ﷺ.

ثم يبادر إلى الصلاة.

التعبد لله تعالى بالصلوات:

(١) التعبد لله تعالى باستحضار معاني الصلاة: ومما يستحضره العبد مع:

تكبيرة الإحرام: يستحضر أنه دخل في اتصالٍ مع الله تعالى، ويستشعر هيبة الوقوف بين يديه.

سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ: ثم أُذن له بالبدء بالثناء على الله عز وجل.

الاستعاذة: ثم التجأ واعتصم بالله وعظمته من وسوسة الشيطان، وسعيه في إفساد صلاته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ثم استعان بالله ورحمته على حسن أداء صلاته.

ثم شرع في مخاطبة الله، وسماع جوابه:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: ثم تذكر نعم الله الكثيرة، وحمده عليها محبةً له، واستحضر جواب الحق: حمدني عبدي.

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ثم حمده على كريم أسمائه وعظيم صفاته، ورجا رحمته، واستحضر جواب الحق: أثنى عليّ عبدي.

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ: ثم تذكر مقامه بين يديه للحساب، ونشر الصحف، ومواقف الميزان والصراط، وخاف وعيده، واستحضر جواب الحق: مجدني عبدي.

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ: فلما اجتمعت أركان العبادة الثلاثة من محبة ورجاء وخوف أفردها لله وحده، وافتقر إليه واستعان به في حسن القيام بها، واستحضر جواب الحق: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل.

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ: ثم سأله لزوم طريق الهداية إلى الجنة والرضوان.

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ: وتذكر حال المنعم عليهم في الدنيا والآخرة، وسأل الله الاقتداء بهم.

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ: وسأل ربه اجتناب طريق من لم ينفعه علمه ولا عمله، واستحضر جواب الحق: هؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل.

ثم قرأ ما تيسر من القرآن: مستحضرًا أن الله تعالى يخاطبه، ويعظه، ويقص عليه، ويبشره أو ينذره، وهو يتفاعل مع القرآن فيسبح الله ويدعوه، ويعرض عمله على كلام الله ويحاسب نفسه.

الركوع: ثم استحضر الإذن له بتعظيم الله، متذكرًا عظمته، ووعيده، والوقوف بين يديه.

الرفع منه: ثم استحضر الإذن له بحمد الله، متذكرًا نعمه.

السجود: ثم استحضر الإذن له بسؤال الله، متذكرًا حاجاته الدنيوية والآخروية.

الجلسة بين السجدتين: ثم استحضر الإذن له باستغفار الله، متذكرًا ذنوبه وتقصيره.

السجود: ثم استحضر الإذن له أخرى بسؤال الله، مبتهلاً في مناجاته بحاجاته.

التشهد: ثم استحضر قرب الإذن له بالانصراف؛ فأثنى على الله، وصلى على رسوله، ودعا الله بحوائجه.

التسليم: ثم استحضر الإذن له بالانصراف، فدعا لمن حوله بالسلامة والرحمة.

ثم يبادر إلى أذكار بعد الصلاة.

(٢) التعبد لله تعالى باستحضار معاني أذكار ما بعد الصلاة: ومما يستحضره العبد مع:

الاستغفار: تفكره في مواطن الخلل في عباداته وآفاتها، وتقصيره في أدائها على الوجه الأكمل؛ فيظل معترفًا بالنقص والتقصير، ذامًا لنفسه، محتقرًا لها في جنب الله .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ: نظره في نعم الله وإحسانه عليه، وأنه ما من صالحة يتقرب بها العبد إلى الله إلا هي من فضل الله عليه وتوفيقه له؛ فيظل شاكرًا لله، حامدًا له .

التحميد ٣٣ مرة: ، شاكرًا الله على كل نعمة.

التسبيح ٣٣ مرة: مترهًا الله عن كل نقص.

التكبير ٣٤ مرة: مثبتًا لله كل كمال.

آية الكرسي والإخلاص: متعرِّفًا بتدبرها على ربه، وحق توحيده، وصفاته المثبتة والمنفية.

المعوذتين: سائلاً ربه تجنيبه كل شر.

ثم يبادر إذا كانت صلاتي الفجر والعصر إلى أذكار الصباح والمساء.

التعبد لله تعالى بذكره وبدعائه:

(١) التعبد لله تعالى باستحضار معاني أذكار الصباح والمساء: ومما يستحضره العبد مع:

أ- الثناء على الله مع كل صباح ومساء:

قراءة آية الكرسي – قراءة سورة الإخلاص– اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ– سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ:

عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ، (ثلاثَ مرَّاتٍ إذا أصبحَ)– سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، (مائة مرَّةٍ)– لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، (عشرَ مرَّات)، (مائةَ مرَّةٍ إذا أصبحَ).

ب– التأكيد على منهجه وهويته في كل صباح ومساء:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلاَئِكَتِكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، (أربعَ مَرَّاتٍ)– أَصْبَحْنا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلاَمِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلاَصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ، حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشرِكِينَ– رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلاَمِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيّاً، (ثلاثَ مرَّاتٍ)– اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلاَّ أَنْتَ– اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، (عشرَ مرَّاتٍ).

ج– تفويض الأمر في صباحه ومسائه لله وحده:

اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ– حَسْبِيَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، (سَبْعَ مَرّاتٍ)– بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلاَ فِي السّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، (ثلاثَ مرَّاتٍ)– يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ أَصْلِحْ لِي شَأْنِيَ كُلَّهُ وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ.

د– سؤال الله تعالى في صباحه ومسائه الفوز بالخير، والنجاة من الشر:

أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذَا الْيَوْمِ وَخَيرَ مَا بَعْدَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذَا الْيَوْمِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ– أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ: فَتْحَهُ، وَنَصْرَهُ، وَنورَهُ، وَبَرَكَتَهُ، وَهُدَاهُ،

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ- اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، (ثلاثَ مرَّاتٍ)- اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً، وَرِزْقاً طَيِّباً، وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً، (إذا أصبحَ).

هـــ- الاستعاذة بالله تعالى في صباحه ومسائه من وقوع الشر:

قراءة المعوذتين - أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، (ثلاثَ مرَّاتٍ إذا أمسى)- اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ: فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي، وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَينِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي- اللَّهُمَّ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرَكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءاً، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ.

ثم يبكر إذا كانت صلاة العشاء للنوم، ويبادر إلى أذكار النوم.

(٢) التعبد لله تعالى باستحضار أدب الدعاء: ومما يستحضره العبد:

(١) قبل الدعاء: تعظيم شأنه: باستقبال القبلة، والسواك، والتطهر، ورفع اليدين، وترصد أوقات الإجابة.

(٢) عند بدء الدعاء: تقديم التوسلات بين يديه: بالثناء على الله، والافتقار إليه، والصلاة على نبيه، وتقديم العمل الصالح.

(٣) مع الدعاء: الرغبة إلى الله: بالإلحاح، وتعظيم الرغبة، والجزم في المسألة، والإيقان بالإجابة.

- واجعل دعاءك ابتهالاً، وتملق بين يدي ربك؛ كالطفل يطلب الحاجة، واطلب حاجاتك بالتفصيل، قال ابن القيم رحمه الله بقوله: "إذا اجتمع عليه قلبه، وصدقت ضرورته وفاقته، وقوي رجاؤه فلا يكاد يردّ دعاؤه".

واعلم ختامًا: أن لله عز وجل على العبد في كل وقت من أوقاته عبودية تقربه منه؛ فإن شغل وقته بعبودية الوقت تقدم إلى ربه، وإن شغله بهوى أو راحة وبطالة تأخر، قال تعالى: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ} [المدثر: ٣٧].

تمّ المتن مختصرًا بحمد الله،،